القسمُ الأوَّل

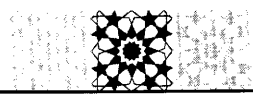

المذكرةُ الإيضاحية

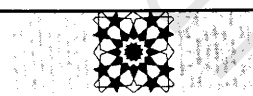

obeikandl.com

obeikandl.com

الأخلاقُ والقيمُ النَّبيلةُ
التي تُزيِّنُ المؤلِّف

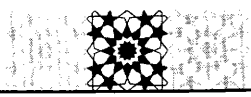

* أهمية الكتاب في حياة الفرد والمجتمع.
* تأليف الكتاب وارتباطه بالمعايير الأخلاقية.
* هموم المؤلف.
* الدور الحقيقي للمؤلف.
* المعاييرُ الأخلاقيةُ والقيم النبيلة التي تُزيِّن المؤلف، وتُوطِّر سلوكه.

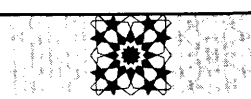

obeikandl.com

obeikandl.com

★ أهمية الكتاب في حياة الفرد والمجتمع:

للكتاب مكانة لا تُضاهى في نفس من أدرك أهميته، وعرف حقيقة مقاصده، إذ يدل الكتاب على عقل مؤلفه، فهو قطعة من نفسه، وزاد فكره، ولُبّ تجربته، وخُلاصة معرفته.

وفيه أخبار القدماء والمحدثين، وهو جامعٌ لشتى العلوم والمعارف، إلى جانب الحكمة والتوجيه.

قال الأصمعيُّ لأحد جُلسائه: أَلَا أَدُلُّكَ على مَنْ يُحدِّثُكَ إذا شئتَ، ويُذكِّرك إذا نسيتَ، ويُؤنسك إذا استوحشتَ، ويكفُّ عنك إذا سئمتَ؟ قال: نعم، قال الأصمعي: عليكَ بالكتاب[1].

وقال أبو عمرو بن العلاء: ما دخلتُ على رجلٍ قَطُّ، ولا مررتُ ببابه، فرأيتُه ينظر في دفتر، وجليسُه فارغٌ إلا حكمتُ عليه، واعتقدتُ أنه أفضلُ منه عقلاً[2].

وكم من مسترشد طَلَبَ الرشاد من الكتاب، فانتفع به، وتغيَّر مجرى حياته نحو الأفضل، فهو لا يقبل الموعظة من اللسان، فإذا وجدها مكتوبة أخذ بها، وكانت غايته المنشودة!

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس، لابن عبد البر (٣/ ٦١).
(٢) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (ص٢١٣١).

وكم من كتابٍ شَحَذَ عقلاً، وداوى نفْساً، وأصلح سلوكاً، وهذَّب روحاً، وجَلَبَ أفضل حال، وأكسب وافرَ المال!

وكان محمد بن يسير الرياشي - وهو شاعر معاصر للجاحظ - يتجه في حياته إلى التزود من أنواع المعرفة، وصنوف الكتب، وكان يجدُ في ذلك سعادة غامرة، وقد اتخذ من الكتب ملجأ يلوذُ به حين يضيقُ بالناس والحياة. وله قصيدة مشهورة في فضل الكتب، منها قوله:

للهِ من جلساء لا جليسُهم
ولا خليطُهم للسوء مرتقبُ

أبقوا لنا حِكَماً تبقى منافعُها
آخر الليالي على الأيام وانْشَعبُوا

حتى كأني قد شاهدتُ عَصْرَهُم
وقد مَضَتْ دونهم من دهرهم حِقَبُ

ما مات قومٌ إذ أبقوا لنا أدباً
وعلماً ودِيْناً ولا بانوا ولا ذهبوا[1]

وأخبارُ الذين جمعوا الكتب كثيرة، وقد أفنوا أعمارهم

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (ص١٢٢٩).

وجهودهم في حب العلم والعلماء، وفي اقتناء المصنَّفات على تنوع موضوعاتها، واختلاف مشاربها. وها هو ذا الحَكَم المستنصر بالله ـ حاكم الأندلس لمدة ستة عشر عاماً ـ كان يستجلب كتب العلم من الأقاليم والنواحي، باذلاً فيها ما أمكن من الأموال؛ حتى ضاقتْ عنها خزائنُه. وكان يطلع على كل كتاب يأتيه ويقتنيه، وله فيه قراءة، أو نَظَر، في أيِّ فَنٍّ كان، ويكتب فيه نَسَب المؤلف ومولده ووفاته، ويأتي من ذلك بغرائب لا تكاد تُوجد إلا عنده؛ لعنايته بهذا الشأن[1].

وقد تساوت نظرةُ خليل مردم ـ رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق سابقاً ـ إلى الموت والحياة، وبيَّن أنه لا يخشى الموت إلا لأنه يتسبَّب في بُعْده عن قراءة الكتب والاطلاع عليها، فقال:

ولستُ بهيَّابٍ من الموت والردى
ولا فَرْق عندي طال أو قَصُرَ العمرُ
ولكنني أخشى فراقَ أحبَّةٍ
كِرامٍ وأسفارٍ إذا ضمَّني القبر[2]

وكان الحزن شديداً على مَنْ فَقَد كتاباً، أو أضاع مُصنَّفاً،

(١) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، لسبط ابن الجوزي، (ص٢٣٢).
(٢) ديوان خليل مردم، (ص٣٤١).

فهنا الطامة الكبرى، والهمّ الذي لا ينقطع. قال عبد الحميد بن عبد الرحيم:

أَجَلُّ مصائبِ الرجلِ العليم
مصائبُه بأسفارِ العلوم
إذا فُقِد الكتابُ فذاك خَطْبٌ
عظيمٌ قد يجلُّ عن العظيم
وكم قد مات من أسفٍ عليها
أُناسٌ في الحديثِ وفي القديم[1]

والتجأ محمد بن يوسف الكَرِيمي ـ شاعر دمشقي توفي سنة ١٠٦٨هـ ـ إلى الله ﷻ، ليردَّ عليه مجلّداً فيه كتاباتٌ بخطِّ يده، فقال:

مجموعي ضاع رُدَّهُ يا صَمَدْ
قد بانَ تصبرُّي به والجَلَدْ
اتُّهِمْتُ أني بِعْتُهُ من سَفَهٍ
هذا ولدي وهل يُباعُ الوَلَدْ[2]؟!

(١) تقييد العلم، للخطيب البغدادي، (ص١٥٠).
(٢) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، (٤/ ٢٨٠).

وهذا وغيره يُبيِّن أهمية الكتاب في حياة الفرد والأمة، حيث نال مرتبة سامية لا تُدانيها مرتبة. وحُقَّ له ذلك، فالكتاب فكر وحضارة.

★ تأليف الكتاب وارتباطه بالمعايير الأخلاقية:

ليس المقصود من تأليف الكتاب أن يكون سَرْداً لمفردات الأخلاق، أو يقتصر موضوعُه على الوعظ والإرشاد، أو يحتوي على خُطَبٍ تدعو إلى الزهد والعزلة... ولكن المقصود من هذا المطلب أن ينطلق المؤلفُ من محور الضوابط الأخلاقية؛ وهو يخطُّ أبوابَ كتابه وفصوله، **فينأى بنفسه عن الموضوعات السلبية**، كتمجيد اللهو، والعبث، والمجون، وتهوين المحرَّمات، والدعوة إلى الفساد، والجريمة، والإرهاب، وتهديم القيم الفاضلة، وتحطيم العلاقات الأُسرية، والطعن في رموز الأمة، والتفصيل في موضوع أوصاف المرأة المادية، والمناداة بالعصبية والتفرقة وتمكين الاختلاف، إلى ما هنالك من موضوعات هدَّامة للفرد والمجتمع على حدٍّ سواء.

إذاً **إن اختيار الموضوع هو الأساس**، فيستطيع المؤلف أن يكتب في موضوع اختصاصه العلمي أو الأدبي، دون أن يُسِفَّ،

أو ينحرف في التوجُّه، ويضع نُصْبَ عينيه دائرة الضوابط، فلا يزيغ عنها، ولا ينحرف عن مسارها؛ لأنه صاحبُ رسالة، ومَنْ كان كذلك وجب عليه أن يضبط نفسه، ويُوجِّه إمكاناته لخدمة مجتمعه، والنهوض به، وفتح آفاق التقدم والازدهار، بإيجابية، ونظرة فاحصة، تضع النقاط على الحروف.

ولا أُريد مما قلتُه أن أحجرَ على المؤلف، أو أحدَّ من حريته واستقلاليته في التعبير عما يريد من هواجس ورؤى وآفاق معرفية، **بل أهدف إلى أن يضبط المؤلف ما يكتبه**، ويُخْرِجه للناس كي يقرؤوه، وبالتالي يؤثر فيهم، وينقلهم إلى عوالم جديدة، من المفترض أن تكون جيدة، ونافعة، ومساعِدة في إحداث نقلةٍ معرفية، أو تهذيبية، أو علمية، تنسجم مع الضوابط العامة للقيم الراسخة في عقول الناس ونفوسهم.

ولا يقولنَّ أحد بأن هناك مصنفات بعيدة عن الضوابط قد انتشرت، ونالت حظَّها من الذيوع...!! فلو لم تجد قراء يتقبلونها لَمَا بيعت النُّسَخ، وانتشر الكتاب.

وللردِّ أقول:

لدينا الكثير من الدلائل التي تشير إلى أنه ليس هناك علاقة طرديَّة بين صحة الشيء، وشدة انتشاره، وسعة شهرته. بل إن

الدلائل تشير إلى أن الأفكار والمعلومات السطحية، والسهلة، وغير المدقَّقة بالقدر الكافي؛ هي التي تحظى بالانتشار الواسع[١].

ولا بُدَّ من القول **بأن سطوة انتشار للكتاب لا يُمثِّل صحته، ولا دِقَّته**، فكم من مؤلف صاحب أسلوب جذاب، ولكنه يدسُّ السم في الدسم، فيغري المزيد من الناس بما يكتب، دون أن يشعروا بأبعاد سوء ما يصنع.

وشيء آخر: إن تأثير هالة الانتشار للمؤلف أو الكتاب، يُكْسِبُه بروزاً وشهرة واسعة؛ مما يدفع القراء للاعتقاد بِحُسْن كلامه، ودقة اختياراته، وسداد آرائه، وسمو معانيه. وهذا ما نلاحظه في وسائل الإعلام؛ التي لها تأثير كبير في اشتهار بعض المؤلفين، وبعض الكتب؛ من خلال الظهور على الفضائيات.

وكثير من المصنفات متداولة، وهي لا تستحق ثمن الورق الذي اسْتُخْدِم في طباعتها، ومن هنا أؤكد على تطبيق القول المشهور: (يُعْرَف الرجال بالحق، ولا يُعْرَف الحق بالرجال).

ثم إن هناك كُتُباً قد انتشرت، وانطبعت عناوينها في أذهان

---

(١) تكوين المفكر، د. عبد الكريم بكار، (ص٢٠٧).

الناس، لأسبابٍ غير موضوعية، ونتيجة سيطرة الأهواء والغرائز، أو للتعاطف مع المؤلف نتيجة ظلمٍ وقع عليه.

علاوةً على ذلك فإنَّ بعض الذين انتشرت مُصنَّفاتهم قد أصابهم الغرور، والاعتداد بالنفس، فلم يعودوا مستعدين نفسياً لقبول الملاحظات أو الانتقادات، فهم ـ كما يزعمون ـ بلغوا شأواً عالياً في ميدان التأليف، وليسوا بحاجة لآراء الآخرين، فقد غرَّهم العلم، وأصابتهم الشهرةُ في مَقْتَل.

وأخلصُ إلى القول بأن على المؤلف أن يضبط ما يكتب بضوابط المعايير الأخلاقية؛ وأن يبتعد عن ثقافة التحيُّز، والانطباعات الجامدة، وتعليب الأفكار، والعزف على وتر العواطف والشهوات، فالكتابة ضبط وإحكام، وليست فوضى وانحياز.

ويجدر بالمؤلف ألا يتضايق من النصح، وأن يقوى استعدادُه لتلقّي الملاحظات، وشُكْر مُسْدِيها، لا أن يُعْرِضَ عن سماعها، فتتراكم الأخطاء، ويقوى التحيز، والانسياق وراء الجنوح والشطط.

وجميلٌ جداً أن يكون لدى المؤلف مبادئ سامية يدافع عنها، وقيم صافية يلتزم بها في المنشط والمكره، وصفات

حميدة يتمثلها في ذهنه، وسلوكه، وكتابته، فإذا بالتأليف يُعزِّز الإيجابيات، وينتقد السلبيات بقصد التغيير نحو الأفضل.

وكأني بالشاعر أحمد شوقي يدعو إلى اختيار الكتاب المنضبط، إذ قال:

أنا مَنْ بَدَّلَ بالكُتْبِ الصِّحابا
لم أَجِدْ لي وافياً إلا الكتابا
كلّما أَخْلَقْتُهُ جَدَّدَني
وكَساني مِنْ حُلَى الفَضْلِ ثيابا
صالحُ الإخوانِ يبغيكَ التُّقى
ورشيدُ الكُتْبِ يبغيكَ الصَّوابا[1]

وهذا ما أكَّده أبو عبد الله بن عبد الرحمن، حين رأى أن الكتاب الجيد، والذي يكون قريباً من النفوس، وذا تأثير عظيم، هو ذاك الذي يدلّ على الاستقامة، ويهدي إلى الصواب، ولا يكون كذلك إلا إن كان مُوجَّهاً بمعايير منضبطة. يقول:

كتابي فيه بُسْتاني وراحي
ومنه سميرُ نفسي والنَّديمُ

(١) الموسوعة الشوقية، (٢/ ٣٠٥).

ويُحْيِي لي تصفُّحُ صَفْحتَيْهِ
كرامَ الناسِ إذا فُقِدَ الكريمُ

إذا اعوجَّ عليَّ طريقُ أَمْري
فلي فيه طريقٌ مستقيمُ[1]

★ **هموم المؤلف:**

يُعاني المؤلِّفُ صعوبات كثيرة في حياته الثقافية والاجتماعية، وهي هموم متعددة متنوعة، تحدُّ من نشاطه، وتعرقل مسيرة المعرفة التي نَذَر نفسه لها.

ومن تلك الهموم:

أ ـ **التأرجح** بين واجب المسؤولية تجاه المجتمع والأمة وبين عدم القدرة على التعبير عن الآلام والآمال؛ بسبب التبعية الفكرية هنا وهناك.

إن ما يعاني منه الإبداعُ والمبدعون، وما تتعرَّض له الكلمة ـ خاصة من بين أشكال الإبداع ـ لأمرٌ صعب وقاسٍ حقاً. وتنعكسُ تلك المعاناة على المتعاملين مع هذا الإبداع،

(١) محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار، لمحيي الدين بن عربي، (١/ ١٠).

والمحتاجين إليه بأشكال مختلفة. ونجد الكلمة التي شرَّفها اللهُ تعالى، والتي كانت بها الكينونة، وبقيت ـ من أجل الإنسان ـ منقذةً، وهاديةً، وصانعةَ تقدُّم وارتقاء، وسُمُوّ روحٍ، وعقلٍ، وهمة، نجدها غير كريمة ولا مُكرَّمة في كثيرٍ من الأحيان، والأماكن، والمواقف.

وحاملُ الكلمة يجولُ بها على عددٍ من نوافذ التَّلقِّي، فيظفر حيناً ويهوي حيناً آخر، نتيجة وجود المعوِّقات والظروف غير الاعتيادية[1].

ب ـ **التمزق** أمام الوصاية التي تُفْرَض على طائفة من الكُتَّاب، فإذا بالكاتب يحمل قلمه ليسطِّر أفكار غيره، ويُسجِّل ما يريده الآخرون.

وبالتالي تبرز هموم قلة الاختيارات، وضيق مجال التصرف، والشعور بالتقزم أمام مسؤولية حمل الأمانة، والتعبير عنها لتصل إلى القارئ صادقة تامة.

والأمثلةُ ـ هنا ـ كثيرة، تنداح على مختلف الفنون الكتابية. وليس هذا الموضوع وليد عصرٍ مُحدَّد، ولكنه ينساقُ على كثيرٍ من حِقَب التاريخ.

---

(١) دراسات في الثقافة العربية، لعلي عقلة عرسان، (ص١٢٩).

ج ـ **قيود** معاقل القلوب وحصون العقول، فلا يستطيع المؤلف أن يكتب ما يريد، ولا أن يُحسَّ بحريته، فهو يحيا المحظور والمحذور، وبالتالي تُنْتَقَضُ مرآة التفكير، إذ تختلُّ معايير التعبير، فالرؤية واضحة، والواقع يدفع المؤلف للإصلاح والتوجيه، لكنَّ القيود كثيرة، تعرقل التشخيص، وبالتالي تصدر الأحكام الهشة، وتكون المعطيات خليطاً من الرشد والضلال.

وهذا يدفع المؤلف إلى عدم الخوض في التفاصيل، والاكتفاء بالتعميم. ومن الواضح أن التعميم هو أكبر خطأ نقع فيه أثناء الحكم على الواقع والتاريخ، وعلى كل شيء، وإن من العدل، والقيام لله تعالى بالقسط؛ أن نتريث قبل إصدار الأحكام، وأن ندرك ما في الشيء الواحد من وجوه التفاوت[1].

د ـ منذ القديم والمؤلف **يعاني من سرقة أفكاره ومؤلفاته**، والسَّطو عليها؛ مِنْ قِبَلِ أُناسٍ يترصَّدون الكُتَّاب المبدعين؛ ليأخذوا أفكارهم، ومنهجهم، وينتحلوا ما خطَّته أقلامُهم، دون أن يبذلوا أدنى جهد أو وقت.

قال المرزباني: (كان محمد بن حبيب ـ أبو جعفر البغدادي

(١) تكوين المفكر، عبد الكريم بكار، (ص١٤٧).

المتوفى سنة ٢٤٥هـ ـ يُغير على كُتُب الناس، فيدَّعيها، ويُسْقِط أسماءهم)[١].

ومحمد بن علي بن وَدْعان صاحب (الأربعين الودعانية) قال عنه ابنُ ناصر الدين: (وكتابه الأربعين سَرَقه من عمه أبي الفتح، يعني: أحمد بن عبيد الله بن صالح بن سليمان بن وَدْعان، وقيل: سرقه من زيد بن رفاعة، وحذف منه الخُطْبة، وركَّب على كل حديث منه رجلاً أو رجلَيْن إلى شيخ ابن رفاعة، وابن رفاعة وَضَعها أيضاً، ولفَّق كلمات من رقائق الحكماء، ومن قول لقمان، وطوَّل الأحاديث)[٢].

وقال الخطيب البغدادي: (حدثني محمد بن علي الصوري قال: سمعتُ عبد الغني بن سعيد الحافظ يقول: قال لنا أبو الحسن علي بن عمر: كتاب «العقل» وضعه أربعة:

ـ أوَّلهم: ميسرة بن عبد ربه.

ـ ثم سرقه منه داود بن المحبر، فركَّبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة.

ـ وسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء، فركَّبه بأسانيد أُخَر.

---

(١) معجم الأدباء، لياقوت الحموي، (١٨/ ١١٣).

(٢) الكشف الحثيث عمن رُمي بوضع الحديث، للحلبي، (ص٣٩٥).

ـ ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي، فأتى بأسانيد أُخَر)[١].

ثم إن صور الاعتداء على المصنفات الأدبية والعلمية متنوعة، فقد يأخذ الاعتداء على حق المؤلف على الكتاب صورة الاقتباس، أو الاجتزاء غير المشروع، أو الترجمة غير المرخَّصة، أو الاعتداء على عنوان المصنَّف[٢].

هـ ـ اضطرار المؤلف ليكتب في موضوعات ساذجة، لا ترتقي إلى مستواه العلمي، واختصاصه؛ ليسدَّ بعضاً من متطلبات الحياة، فهو يكتب ما يُطْلَبُ منه، وتعتصر نفسه بشتى أنواع الهموم؛ لأنه لبَّى مطالب السوق التجارية، وصرف وقته وجهده في موضوعات المسابقات، والتدبير المنزلي، والطب الشعبي، والأبراج، وتفسير الأحلام.

فهذه ثقافة إلزامية يبتلعها سوقُ الكتاب، وتُطْلَب باستمرار، فيجد المؤلف نفسه يجاري الخط العام، ويسايره، وماذا يفعل؟! هذا هو المطروح، والذي تسأل عنه شريحةٌ واسعةٌ من القراء.

ويلحق بهذه الظاهرة ما نجده من بعض المصنَّفات؛ التي

---

(١) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، (٨/ ٣٦٠).

(٢) حق المؤلف، د. نواف كنعان، (ص٣٥٠).

تُطْبَع في معظم دور النشر، فهي مطلوبة شعبياً، وكل عمل فيها هو من باب التكرار، إلى جانب غياب التخصُّص، ونقص الخبرة؛ مما يُسبِّب ضموراً في الثقافة الحقيقية، والفكر المبدع، وتوليد الموضوعات المتَّسمة بالعمق، والجِدَّة، والحيوية، والفعالية، والقادرة على شدِّ انتباه القارئ، وتنشيط ذهنه للنقد والحوار، الذي هو العامل الأساس في تنمية الأفكار[١].

★ الدور الحقيقي للمؤلف:

ليس كل من كتب صار مُؤلِّفاً، ولا كل من خَطَّ كتاباً أضحى مُصنِّفاً، ذلك أنه لا بد من التمييز بين أمرين:

الأول: تعريف التأليف.

والثاني: معرفة الدور الحقيقي للمؤلف.

أما التأليف فهو: (جَمْعُ الحقائق الطبيعية، أو الأدبية، أو غيرها في كُتُبٍ مختلفة، أو كتابٍ واحد، وتنسيقها على أسلوب مخصوص لغرضٍ مخصوص، يتخذ به موضوعُ الكتاب شكلاً جديداً، تنطبق فيه مُقدِّماتُه على نتائجه)[٢].

وهذا أمرٌ يعرفه الكثيرون، ويقوم به الباحثون هنا وهناك.

---

(١) هموم ناشر عربي، لعدنان سالم، (ص٤٠).

(٢) مجلة الهلال، م٥، ج١٣، (ص٤٨٩).

لكن يجدر أن نقول بصراحة: **إن الكتابة موهبة فنية** تُمنح لبعض الناس ولا تُمنح لآخرين، وليس الاطلاعُ، ولا جَمْعُ المادة، وترتيبها بالعناصر الكافية لإنتاج كتاب ممتاز، **فلا بُدَّ من توافر المقدرة على البحث**، فالجمع والترتيب والتنسيق شيء، والتفسير والتحليل شيء آخر، بل يشكل الدعامة الأهم في تأليف المصنَّفات، لا يمكن التجاوز عنه، أو تجاهله، فهذه المقدرة هي التي يستطيع المؤلف من خلالها أن يستقلَّ في فهم الحقائق، وفي تفسيرها[١].

وتبقى معرفة الدور الحقيقي للمؤلف هي بيت القصيد، **فمهمته الرئيسة منوطةٌ بالكلمة الشريفة، الواعية، الحرة، المسؤولة**؛ التي تصلُ إلى الناس، وتفعلُ فعلها الإيجابي فيهم[٢].

ومن العبث أن يحاول بعضُهم تجريد التأليف من القيم والمعايير الأخلاقية، مُدَّعين بالحرية غير المحدودة؛ التي تُعطى للكاتب، فإن تحقق ذلك فإن المؤلفات تخرج عبارات جوفاء،

---

(١) كيف تكتب بحثاً أو رسالة، د. أحمد شلبي، (ص٩).
(٢) دراسات في الثقافة العربية، لعلي عقلة عرسان، (ص١٣٢).

وأصواتاً غُفلاً من التصور السليم، والإحساس بدور الكاتب في تعزيز المقاييس الإيجابية.

وكل الإفرازات الأدبية، والمناهج البعيدة عن القيم الفاضلة؛ هي هباء منثور، لا يقوى على خدمة الإنسانية، ولا يحقق أهدافاً يبتغيها العقلاء، فالدادائية نزعتْ إلى التخريب، ونادت بالشعر الآلي، أي: إلقاء أكثر من قصيدة واحدة في آنٍ واحد، بصحبة الغناء والصفير والموسيقا، وانتهت إلى طريق مسدود، لأنها حركة اعتمدت على الهدم(١).

والشعر عند السريالية نوع من الهلوسة، والجنون، وتشويش العقل، والعبث. والمسرح لديهم رمز للفوضى، تبرز من خلاله الصراحة الجنسية المكشوفة، وتبدو السريالية نوعاً من الأدب اللامعقول(٢).

أما الوجودية فقد انطلقت لتركِّز على موضوعات: السأم، القرف، الخيبة، الرفض، القلق، وعَدّوا القَدَرَ الإنساني عبثياً، ولا يستطيع المرءُ أن يُجْرِي أيَّ تعديل في مسار حياته، وحتمية سَيْرِها(٣).

(١) الخلاصة في مذاهب الأدب العربي، لعلي جواد طاهر، (ص٧١).
(٢) المذاهب الأدبية لدى الغرب، لعبد الرزاق الأصفر، (ص١٧١).
(٣) المذاهب الأدبية الغربية، د. وليد قصاب، (ص١٣٥).

وكل هذه الاتجاهات، تدرك الدور الحقيقي للمؤلف، فهو إنسان جاء لتطوير الحياة، وترقيتها؛ لا للرضا بالواقع السيئ، ولا لتسجيل ما فيه من نزعات وقيود فحسب، بل المطلوب منه أن يسعى إلى التجديد، والرقي، وأن يدفع بالطاقات البشرية إلى الإنشاء، والانطلاق، والارتفاع.

فالتأليف المنبثق من التصور الصحيح للحياة، لا يحفل كثيراً بتصوير لحظات الضعف البشري، ولا يتوسَّع في عَرْضها، وبطبيعة الحال لا يحاول أن يُبْرِزَها، فَضْلاً على أن يُزيِّنها؛ بحجة أن هذا الضعف واقع، فلا ضرورة لإنكاره، أو إخفائه.

وهنا يأتي دورُ المؤلف ليرفع البشرية من وهدة هذه اللحظات، وليطلقها من عقال الضرورة، وضغط النوازع والشهوات.

والوظيفة الأساسية للمؤلف هي تغيير الواقع، وتحسينه، والإيحاء الدائم بالحركة الفاعلة المنشِئة لصور متجددة من الحياة[1].

وعلى المؤلف أن يُحدِّد مَنْ هو المخاطَب، ليكتب له ما

(١) في التاريخ فكرة ومنهاج، (ص١٦).

يُناسبه من أفكار، وحوار، وأمثلة، وحلول، وأسلوب، وشواهد، فلكلِّ مقامٍ مقال.

والمؤلف لا يجب أن يقف عند حدود النقد، فيكون هدفه النقد من أجل النقد، بل يجب أن يضع الحلول المناسبة، كالطبيب يشخص المشكلة أو المرض، ثم يصف الدواء الناجح، ولا يقف عند هذا الحد، بل يتابع حالة مريضه حتى ينظر الله له بالشفاء التام.

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الأول

المعايير الأخلاقية

والقيم النبيلة التي تُزيِّن المؤلِّف

يرقى المؤلف في ميزان الحق والخير والصواب؛ بمقدار ما يمتلك من نِيَّة حسنة، وإخلاص في العمل، وقراءة متواصلة، والاطلاع المعرفي غير المحدود، مع تحلِّيه بالأخلاق الحميدة، والشيم الفاضلة، والشمائل الكريمة، فهو من النخبة المفكرةُ، التي تتبوأ المكانة العالية في المجتمع؛ نظراً لتأثيرها العميق؛ في الفكر والتوجيه والسلوك. ومن تلك المعايير الأخلاقية، والقيم النبيلة:

١ ـ النية الصالحة والإخلاص للعمل.

٢ ـ إرادة الخير للناس.

٣ ـ الأناة والصبر.

٤ ـ المروءة.

obeikandl.com

٥ ـ امتثال قيم الفضيلة والصلاح.

٦ ـ الرضا والقناعة.

٧ ـ محاسبة النفس.

٨ ـ طِيْب الكلام.

٩ ـ طلاقة الوجه.

١٠ ـ كَظْمُ الغيظ والغضب.

١١ ـ التواضع.

١٢ ـ الصدق.

١٣ ـ الأمانة.

١٤ ـ إنجاز الوعد.

١٥ ـ عدم الغش أو التزوير.

١٦ ـ العِفَّة.

١٧ ـ الشكر.

١٨ ـ المشورة.

١٩ ـ الاستقامة والاعتدال.

٢٠ ـ تجنُّب الحقد والحسد.

٢١ ـ القدوة الحسنة.

obeikandl.com

التَّحلِّي بالصِّفات
الأخلاقية والسلوكية للمؤلف

صحيحٌ أن المؤلف مُطالَبٌ أن يكون واسع العلم، كثير القراءة، مواكباً لسير العلوم والآداب، لكنه في الجهة المقابلة لا بُدَّ أن يراعي محاسن الأخلاق، ومعايير السلوك الإيجابي، فهو يتعامل مع محيط مثقف، ويسمع آراء القراء، ويلتقي بهم، ويتفاعل معهم؛ لذا فهو مطالبٌ ـ أكثر من غيره ـ بِحُسْن التعامل، ولِيْن العريكة، ودماثة الخُلُق؛ ليكون قدوة صالحة لغيره، وعليه أن يُجسِّد صفات أهل العلم في نفسه، وحياته، وسلوكه.

ومن تلك المعايير الأخلاقية، والقيم النبيلة:

١ ــ النية الصالحة والإخلاص للمهنة

إنَّ عمل المؤلف يُعَدُّ من أدقِّ الأعمال؛ لارتباطه بصلاح النية، والإخلاص للعمل، وهذا خُلُق نفسي كريم، يحتاج إليه المؤلف فيما يؤديه من رسالته في الحياة؛ فهو ـ في الأصل ـ

طالب علم، وناشد معرفة، وناقل للفكر الصائب الموافق للحق؛ إلى الناس، فَيُطْلَب منه أن يكون متجرداً من المصالح الشخصية فيما يكتب، بعيداً عن المفاسد والترهات، فعمله مرتبط بالخُلُق القويم، والله تعالى مُطَّلع عليه، مراقب لأهدافه ومراميه[١].

ومن هنا **يتوجَّب على المؤلف أن يُمحِّص نِيَّته بين الحين والآخر**، ويُخلِّصها من الشوائب والأدران، وما يعلق بها من المُعوِّقات والمُحْبِطات، كالفخر بالنفس، والشعور بالعظمة، والنظرة الفوقية، وابتغاء رضا الناس، ونحو ذلك من الرياء، وطلب السُّمْعة.

إن النيةَ الصالحة بحاجة إلى تقويم مستمر، والإخلاص للعمل لابُدَّ له من اطِّراد المحاسبة؛ لينال المؤلفُ خيرَ الدنيا وحُسْنَ ثواب الآخرة.

وكم من مُؤلِّف داهمه الشعورُ بالعظمة، فخسر نفسه، وأبغضه الناسُ، وضعفت محبتهم له، حتى انزوى في عزلته، يضرب أخماساً لأسداس؛ ليعرفَ ما الذي حصل له، ولكن هيهات أن يشعر بما فعل، وما جنى عليه انتفاشُه الموهوم!

---

(١) المرأة المسلمة المعاصرة، د. أحمد أبا بطين، (ص٢٠٠).

٢ ــ إرادة الخير للناس

لكلِّ مؤلِّفٍ أهداف كامنة وراء مهنته، يسعى لتحقيقها، ويجدّ لتجسيدها في حيِّز الواقع، ويأتي في مقدِّمتها: إرادة الخير للناس، انطلاقاً من مفهوم قول الله ﷻ: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨] الذي يتضمَّن المسابقة إلى عمل الخير. وهو عامّ يمتدّ على صعيد النفس، والمجتمع، والأمة.

فإرادةُ الخير أصلٌ أخلاقي إنساني، يُوافق ما يريدُه الخالقُ المولى من الإنسان، فيسعى نحو العمل الصالح، والإصلاح في الأرض، ومنْع الفساد فيها[١].

والمؤلف يبتغي الخير للجميع فيما يكتب، ويتوجَّه إلى إحداث التغيير المراد، ولكنَّ ذلك لا يتضمَّن نفي المنافسة في العمل بين الناس؛ لأن المنافسة تساهم في توجيه القدرات وتفعيلها، وهذا التوجيه يرتبط بمعايير أخلاقية تحول دون تحويله إلى آلةٍ للصراع، والتكالب، والإضرار بالآخرين.

ولا تمنع إرادةُ الخير من التعاون، لأنه شكلٌ من أشكال السعي الخيِّر، يقود إلى صلاح الحياة الإنسانية بكل ما يمتُّ إليها بصلة.

---

(١) أخلاقيات المهنة في الحضارة الإسلامية، د. موفق نوري، (ص٤٠).

إن المؤلف يدرك في قرارة نفسه أنه قد هُيِّئ لأمرٍ عظيم، فمسؤوليته كبيرة، ومساحة واجبه لا تُحَدُّ. وهو لا يؤدي مهمته بالمعنى الضَّيِّق لمفهوم (الأخلاق)، إنما ينطلقُ متأثراً بطبيعة التصور الحقيقي للحياة بأجمعها، واتساع معانيها، فهو لا يرضى بسلبية الإنسان، ولا بضآلة دوره، ولا بقائه تحت عقال الضعف والنزوات، إنما يهتف بالأهداف التي تُطوِّر الحياة، ويسعى لترقيتها في ضمير الفرد، وواقع الناس.

٣ ــ الأناة والصبر

المؤلِّف الحقيقيُّ مدرسةٌ في الأناة والصبر، فهو يصبرُ على مدارسة العلم، والنهل من نبعه الفياض الزاخر بلا انقطاع. ويصبر على قراءة التاريخ وتحليل الوقائع. كما أنه يصبر على الاستمرار في مهنة الكتابة، وجمع المادة وإعدادها، وهو يواصل ليله بنهاره لتصحيح فكرة، أو الحصول على معلومة، أو إبراز ما يساعد على تطوير الحياة، وتحقيق هدفٍ ما.

إن التأليف يلازمه الأناة والصبر، ولولا ذلك ما خرجت فكرة، ولا صحَّ تفكير، ولا عُرِف صواب، ولا رسخت حقيقة، ولا اتَّضح منهج.

فالصبر يرافق المؤلف في حياته كلها، والأناةُ ـ أي: التؤدة

والتثبت ـ من لوازم المفاهيم الأخلاقية لمن أمسك بالقلم، فلا ينبغي أن يكون عصبياً، أو مزاجياً، أو انفعالياً. وهو يترفع عن الجدال العقيم، ويتجمَّل بالصبر الجميل، ولكن ذلك لا يعني الرضا بالواقع المعاش، والكفّ عن معالجة الأمور، فهذا فهم خاطئ، ووهم فاسد، فالصبر جهد نفسي يتأبَّى على السلبيات، وجهد عملي إيجابي، فيه حركة وسعي وإنتاج، وفيه تحمُّلٌ للتبعات، وتَعرُّضٌ لجلائل الأعمال، وهو خُلُق أهل العزيمة القوية، والإرادة الماضية، فالمؤلف لا ينثني مهما كلفه ذلك من تعب أو مشقة، بل يعقد العزم على إمضاء الأمر بحكمة، ورجاحة عقل[1].

وصحبةُ الكتب تحتاج إلى صبر كبير، والاشتغال بالتأليف يقترن بالقدرة على التحمل، ومعاناة شيء من العزلة عن الناس.

قال أبو حيان الأندلسي:

أَرَحْتُ نفسي من الإيناس بالناسِ

لما عنيتُ عن الأكياسِ بالياسِ

(١) أخلاق القرآن، د. أحمد الشرباصي، (ص١٩٤).

وصِرْتُ في البيت وحدي لا أرى أحداً
بناتُ فكري وكُتبي هُنَّ جُلَّاسي[١]

٤ ــ المروءة

المروءة: صفةٌ للنفس، تحملُها على فِعْل كل خير، ودَفْع كل ضُرٍّ؛ كلما وجدتْ لذلك سبيلاً، فهو عنوان عُلُوِّ الهمة، وشرف النفس[٢].

والمؤلف المتميز ذو مروءة؛ لأنه يرنو ـ على الدوام ـ إلى الكمال في نفسه وسلوكه وكتاباته، ويرغب في التمسك الشديد بأجمل الخصال.

ومن مواقف المروءة لدى المؤلف:

- أنه **يكتب بصدق**، ويُخْبِر بحق، ولا يرائي، ولا يخادع، بل يُطبِّق الآداب الخلقية على نفسه وسلوكه في الحياة.
- **يُنصف في الحكم** على المسائل التي يبحثها في مصنفاته، فلا يزيغ عن الحق، ولا يحابي فكرة على حساب أخرى، بل يبتغي الوصول إلى الصواب لنشره بين الناس.
- **همته عالية**، واجتهاده دائم لا ينقطع.

---

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين بن الخطيب، (٣/ ٧٥).
(٢) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، لأحمد الدجوي، (ص٧٤).

وما المرءُ إلا حيثُ يجعلُ نَفْسَهُ
فكُنْ طالباً في الناس أعلى المراتبِ

• **يُسخِّر وقته، ويُوظّف جهده ليتعلم الفصاحة والبيان،** فهما من متطلبات التأليف، ودعائمه الأولى. قال الزُّهري: ما أحدث الناسُ مروءةً أعجب إليَّ من الفصاحة[1].

وهكذا تتكامل المروءةُ عند المؤلف الناجح، فإذا به يزينهُ عقلهُ الراجح، ورَأْيُه الرشيد.

قال إبراهيم بن حسَّان:

وأفضلُ قَسْمِ اللهِ للمرء عَقْلُهُ
فليسَ من الخيراتِ شيءٌ يُقارِبُهْ
إذا أكملَ الرحمنُ للمرءِ عَقْلَهُ
فَقَدْ كَمُلَتْ أخلاقُهُ ومآرِبُهْ
يعيشُ الفتى في الناسِ بالعقلِ إنَّهُ
على العقلِ أخلاقُهُ وتجارِبُهْ
يَزِيْنُ الفتى في الناس جَوْدةُ عَقْلِه
وإنْ كان محظوراً عليه مكاسِبُهْ[2]

(١) المروءة، لابن المرزبان، (ص٣٠).
(٢) روضة العقلاء، لابن حبان البستي، (١/ ٨٧).

٥ ــ امتثال قيم الفضيلة والصَّلاح

إن المؤلِّفَ مُفكِّرٌ من الدرجة الأولى، وهو عضوٌ في هيئة اجتماعية راقية، وهو يبحث عن الحقيقة لينصرها، ويُبْرِزَها، ويدخل عالم الكتابة الواسع الآماد، المترامي الأبعاد، ترفده أخلاقٌ فاضلة، وصفات جليلة، وهي بمجموعها تُشكِّل أرضية راسخة لحمل مسؤولية المفاهيم وإثرائها، يدفعه في ذلك وقودٌ روحي عظيم، يجعله يغذُّ السَّيْرَ قُدُماً في الرحلة الشاقة مع الكلمة الصادقة.

فالمؤلفُ نسيجُ وحده من قيم الفضيلة والصلاح، فمن يُقدِّم طروحاتٍ فكرية، ومقولاتٍ رائدة؛ لابد أن يطابقَ بين قوله وفعله، وبين الحرف وتجسيده في السلوك العلمي، ويقوده ذلك إلى بناء منظومة أخلاقية تنعكسُ على طبيعة العمل الذي يؤديه في مناشطه الحيوية.

ثم إن المفاهيم القِيَمِيَّة ليست مفردات عادية وحسب، بل إنها تكتنز في نفس المؤلف طاقةً فكرية هائلة، تساهم في رسم أُطُرٍ واضحة لسلوكه الإنساني، وهي تعبيرٌ عن انتماء فكري، وهذا الفكر ينتمي إلى عقيدة صحيحة، وهي أسمى ما يبني به الإنسان عقله، وذاته، وحياته كلها[1].

---

(١) أخلاقيات المهنة في الحضارة الإسلامية، د. موفق نوري، (ص٨٦).

ومن قيم الفضيلة والصلاح التي يتصف بها المؤلِّفُ الناجح: حفظ اللسان، ومجانبة الكذب، وحُسْن الظن، والتوكل، والرضا في الشدائد، وقبول الاعتذار من المعتذر، وكتمان السر، والرفق في الأمور، وغير ذلك من الفضائل التي تُزيِّن الإنسان، وترتقي به إلى معارج العلياء. قال الشاعر:

أَقْبِلْ على النفسِ فاستكملْ فضائلها
فأنتَ بالنفسِ لا بالجسمِ إنسانُ[١]

وقال البوصيريُّ:

والنفسُ كالطفلِ إن تُهْمِلْهُ شَبَّ على
حُبِّ الرَّضاعِ وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ
وخالفِ النَّفْسَ والشيطَانَ واعْصِهما
وإنْ هُما مَحَّضاكَ النُّصْحَ فاتَّهِمِ[٢]

٦ ــ الرضا والقناعة

الرضا: ضدّ السُّخط. والقناعة: هي الرضا بما قُسِم للمرء من متاع الحياة الدنيا، وعدم النظر إلى ماللغير[٣].

(١) مجمع الحكم والأمثال، لأحمد قبش، (ص٥٢٣).
(٢) البردة بشرح الباجوري، تحقيق يوسف علي بديوي، (ص٥٩).
(٣) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، للدجوي، (ص٧٩).

ولا شكَّ أن الرضا المحمود، الجميل، الطَّيِّب الأثر والثمر؛ هو الرضا بما يأتي به الله تعالى، ولا عَجَبَ في ذلك فالرضا بالله هو الغنى[١].

قال عبد العزيز بن سليمان الأبرش:

إذا المرءُ لم يقنعْ بعيشٍ فإنه
وإنْ كان ذا مالٍ مِنَ الفقر مُوْقَرُ

إذا كان فَضْلُ الناسِ يغنيكَ بينهم
فأنتَ بفضلِ اللهِ أغنى وأَيْسَرُ[٢]

إن المؤلف ـ خاصة ـ إن رضي بالقناعة، والتزم بالرضا؛ فإنه يحيا مطمئن النفس، هادئ البال، لا يضجر ولا يتأفف، فهو يعمل في مهنة شريفة مُقدَّسة، تُغني الفكر، وتُهذِّب الروح، وتبني الفرد، وتشيد صرح المجتمع. وكفاه بهذا خيراً وأملاً، أما عَرَضُ الدنيا فيأتي ويذهب، ولا أَسَفَ عليه.

والمؤلف يريد ـ كغيره ـ حياة كريمة تغنيه، وتدفع عنه وطأة الحياة وكثرة طلباتها، لكنه إن رضي عاش عمره هادئ البال، وإن سخط أدركه القلقُ، وأحاطتْ به الكآبة.

---

(١) أخلاق القرآن، د. أحمد الشرباصي، (ص٦٤).
(٢) روضة العقلاء، لابن حبان البستي، (٢/ ٥٩٣).

ولا يستطيع المؤلف أن يُبْدِعَ ويتألق إذا كان ساخطاً، كما لا يمكن أن يكتب ومعدته خاوية، وجَيْبه خالي الوِفاض كذلك، فمن مُقوِّمات الكتابة الناجحة: أن تصدر عن نفس مطمئنة تُحلِّل وتنقد وتبني وتشرح وتعلل... فالقلق يُحْدِث قَلَقاً في الكتابة، ويُشوِّش على الحركة الفكرية في نطاق التعبير عما يعتمل في العقل، ويجول في الصدر.

فليهنأ المؤلف إن كان راضياً، وليسعد إن شعر بالقناعة، فما قُدر له فسيأتيه، وما حُجِب عنه فلا قدرة على تحصيله.

ولا أقصد ـ بهذا الكلام ـ أن يقبع الكاتب في بيته، ويسكت عن حقوقه، بل يسعى ويجدّ، ويكون نشيطاً فاعلاً على الساحة الثقافية، وبالتالي يرضى بما قُدِّر له، ولا يتأفف، بل يقول ملء فيه: الحمد لله رب العالمين.

وبالمقابل عليه ألا يقنع باليسير من العلوم والآداب، ولا بالقليل من المعارف والمعلومات، بل يتابع تحصيله ما وسعه الجهد والوقت والمال؛ ليزيد من رصيده، ويُخزِّن الكثير من الأفكار والمعاني، فهذا هو زاده الحقيقي، ولُبّ حياته التي يعيش في كنفها.

ولن يكتمل نجاح المؤلف ما لم يُتقن لغة أخرى غير لغته الأم؛ قراءةً وفَهْماً على الأقل.

ولله درّ محمد علي السنوسي إذ يقول:

في سبيل العلوم والآدابِ
ذاب قلبي هوى وشابَ شبابي

ذاك دأبي مدى الزمان وطبعي
أبداً في إقامتي واغترابي[1]

٧ ــ محاسبة النفس

يتوجَّب على المؤلف الناجح أن يُراجع مسيرته باستمرار، هل هو ما يزال يجري وَفْق المنهج القويم الذي اختطَّه لنفسه؟ وهل عطاءاته الفكرية تتناسب مع ما يوقن به ويعتقده؟ وهل يكتب لِيُعْرَف بين الورى، ويصبح كاتباً مشهوراً فحسب، دون أن يُحافظ على المنهج الذي اختطّه لنفسه؟ أم أنه يُصنِّف ليفيد الآخرين، وينقلهم من وهدة الواقع إلى سموّ المعارج؟

هذا الحسابُ المتكرر مفيدٌ للغاية؛ لأنه يدفع المؤلف لإحداث التغيير المناسب في الوقت المناسب، ويتجاوز السلبيات في حال وجودها، ويستبدلها بما هو خيرٌ منها، وأكثر صواباً.

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمد علي السنوسي، (ص٦٥٢).

ويلحق ذلك أن يحاسب المؤلف نفسه على كل كتاب قبل أن يُطْبَع، وأن يقرأه عدداً من المرات، ويُعْمِل قلمه فيه تصحيحاً، وتهذيباً، وحذفاً، وإضافة... وأن يطلب من زملائه أن يطَّلعوا على ما كتب، وأن يناقش أفكاره معهم، وأن يفيد من ملاحظاتهم، واقتراحاتهم، فالمرءُ قليلٌ بنفسه، كثيرٌ بإخوانه.

قال علي بن أبي طالب في محاسبة النفس؛ وصونها عما يشينها:

صُنِ النَّفْسَ واحْمِلْها على ما يزينُها
تَعِشْ سالماً والقولُ فيكَ جميلُ
ولا تُرِيَنَّ الناسَ إلا تجمُّلاً
نَبَا بك دَهْرٌ أو جَفَاكَ خليلُ[1]

٨ ــ طِيْبُ الكلام

لا يحيا المؤلف في بُرْجٍ عاجي، منعزلاً عن الناس، بل يدرجُ بينهم، ويحيا معهم، ويتبادل الأحاديث مع هذا وذاك، ويناقش فلاناً، ويحاور آخر، ويحاضر في المنتديات والمراكز الثقافية...

---

(١) ترجمة المنتخب من ديوان علي بن أبي طالب، (ص٢٧٤).

إن كل ذلك يحتاج من المؤلف إلى كلام طيِّب، ولسان معسول، يقطر شَهْداً كما يقولون، فالكلمةُ الحسنة لها وقع خاص في النفوس، وهي تجلب محبة الناس لهذا المؤلف أو ذاك، ولكن على ألَّا تقوده المجاملة إلى النفاق، وكتمان الحقائق، وغياب المعايير الموضوعية في التقويم.

قال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]. وقال ﷻ: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤].

وقال أبو الفتح البستي:

تكلَّمْ وسَدِّدْ ما استطعتُ فإنما
كلامُكَ حَيٌّ والسُّكُوتُ جمادُ

وإنْ لم تجدْ قولاً سديداً تقولُه
فَصَمْتُكَ مِنْ غيرِ السَّدادِ سَدَادُ[1]

ولكنْ لا بد من الإشارة إلى أن **المؤلف الناجح** يحترم قول الحقيقة، ويحرص على الوقوف عند حدودها، وهذا من سمات الصدق والوعي.

وثمة نقطتان مهمتان في هذا الموضوع، وهما:

---

(١) أبو الفتح البستي: حياته وشعره، د. محمد مرسي الخولي، (ص٢٤٧).

أ ـ إذا كان المؤلف في ظرف حرج جداً، ولا يستطيع أن يقول كلمة الحق والصواب، فإن عليه ألا يتلفظ بالباطل.

ب ـ من طِيْب الكلام أن يبدأ المؤلف حديثه ـ لتقريب وجهات النظر ـ بالمدح والثناء بأدنى حدّ، وأقلّ مستوى، ومن ثم ينصح، أو يُوجِّه الملاحظات[1].

وكلا الأمرين منوط بالحكمة لدى المؤلف، وقدرته البيانية التي تُسدِّد وتُقارِب، دون أن يقع في مستنقع الكذب؛ الذي لا تُحمد عُقْباه. قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

٩ ــ طلاقة الوجه

يتصوَّر كثير من الناس أن المؤلف متجهم الوجه، مقطِّب الحاجبين، يضع نظَّارةً على عينيه، وعدَّة أقلام في جيبه!! فلا يبتسم؛ لأنه جادٌّ جداً، يمضي ليله ونهاره في عمل مُضْنٍ، وتفكير متصل.

هذه الصورة غير صحيحة؛ لأن **المؤلفَ الناجح دَمِثُ الأخلاق، باشّ الوجه، مبتسم الثغر**، وله في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

---

(١) تكوين المفكر، د. عبد الكريم بكار، (ص٢٠٣).

عن عبد الله بن الحارث بن جَزْء رضي الله عنه قال: ما رأيتُ أحداً أكثر تبسُّماً من رسول الله ﷺ[1].

وأرى أن يلتزم المؤلف بصفة الابتسام، فهو وسيلة ناجحة في الحياة الاجتماعية خاصة، وفي التعامل مع الآخرين، وهو كذلك من وسائل التخفيف عن الإنسان، بينما يواجه أحداثَ الحياة ووقائعها. فالوجهُ الطَّلْق، والقدرة على التعبير بطريق البسمة يردُّ النشاط، مما يدفع الإنسان ليعاود التعاملَ مع الحياة الجادَّة مرة أخرى.

ومعظمنا يرتاح نفسياً لمن يمتلك وجهاً يطفح بالبَشَاشة، ويحب التعامل معه، والبقاء بالقرب منه.

وقد أرسل أَبَانُ بن عبد الحميد ـ شاعر من أهل البصرة توفي سنة (٢٠٠)هـ ـ قصيدةً إلى الفضل بن يحيى؛ ليعرِّفه بنفسه، ويُعدِّد له مزاياه، وكان منها أنه يحسن صُنْع البسمة، وأنه فَكِهٌ ظريف:

أنا مِنْ بُغْيةِ الأمير وكَنْزٌ
من كنوزِ الأميرِ ذو أرباحِ

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٤١).

كـاتـبٌ حـاسِـبٌ خـطـيـبٌ أديـبٌ
نـاصِـحٌ راجِـحٌ عـلـى الـنُّـصَّـاحِ
شـاعـر مُـفْـلِـقٌ أَخَـفُّ مـن الـريـ
ـشةِ مـمـا يـكـونُ تـحـت الـجَـنَـاحِ
وظـريـفُ الـحـديـثِ مـن كُـلِّ لـونٍ
وبَـصِـيْـرٌ بـحـالـيـاتٍ مِـلاحِ
كـل ذا قـد جـمـعـتُ والـحـمـد لـلـ
ـهِ عـلـى أنـنـي ظـريـفُ الـمـزاحِ[1]

والمؤلف المبتسم هو الأقدرُ على استيعاب مَنْ حوله، والتأثير فيهم، والتغيير في سلوكهم.

وهذا السلوكُ هو القوة الحقيقية التي يتحلى بها المؤلف؛ إذ تُمكِّنه من الوصول إلى قلوب مُحدِّثيه، واستيعابهم[2].

قال رسول الله ﷺ: «**إنكم لن تَسَعُوا الناسَ بأموالكم، ولكنْ يَسَعُهم منكم: بَسْطُ الوجه، وحُسْنُ الخُلُق**»[3].

---

(١) الفكاهة والأدب، د. أحمد الحوفي، (ص٢١ ـ ٢٢).
(٢) أخلاق الكبار، لمحمد عبده، (ص١٣٧).
(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢) وعزاه لأبي يعلى في مسنده (٦٥٥٠).

obeikandl.com

١٠ ــ كظم الغيظ والغضب

من المعايير السلوكية المتميزة التي يتصف بها **المؤلف الناجح**: الحلم وكَظْم الغيظ وامتصاص الغضب؛ في اللحظات الحرجة، بكل ما فيها من ضغوط، ومشكلات، واضطراب.

وهنا تبرز الأناةُ، وضبط النفس، مما يدلُّ على قوة نفسية كبرى، تقود إلى اتخاذ موقف الحكمة بدلاً من التشفي، وموقف التَّروِّي عِوَضاً عن الاندفاع الطائش.

ذلك أن **المؤلف الناجح يعفو عمن أخطأ بحقه**، ويسامحه من موقع القوة لا من موطن الضعف، محتسباً أجره عند الله تعالى.

وحين يلتزم المؤلفُ بكظم الغيظ ـ الذي لا يُحْسِنه الكثير من الناس ـ فإنه يجني الخير الوفير، ويحقق الأمن الاجتماعي مع الآخرين، إلى جانب صفاء العلاقات، ومتانتها[1].

وهذا المعيار الضابط للنفس من التهور والانتقام ممن أخطأ بحق المؤلف، فإنه يُعَدُّ مقياس الرجولة لديه، ودليلاً على سمو الأخلاق، ورُقيّ المفاهيم، والتزين بالخلق الحميد، والتقيد

(١) أخلاق الكبار، لمحمد عبده، (ص٩٧).

بتعاليم السماء. قال رسولُ الله ﷺ: «**ليس الشديدُ بالصُّرَعة، إنما الشديدُ الذي يملك نَفْسَهُ عند الغضب**»(١).

وحَرِيٌّ بالمؤلف الناجح أن يكبح جماحَ نفسه، ويضبطها عند الانفعال، لا أن يخرج عن الجادة، ويتجاوز الحدود، وإلا انطبق عليه قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]. وبالتالي ما نَفْعُ العلم والمعرفة في هذا الحال؟!

كذلك **يمتنع المؤلفُ الناجح ذو السلوك المنضبط؛ أن ينجرَّ إلى معارك الغضب**، أو ينساق إلى مُنْزَلَقٍ لا يليق به، ولا يُناسب مكانته.

وأهم أمر يعالج الغضب: ألا يكون المؤلفُ شديد التطلع، أُذُناً لكل قائل وناقل، مع حُسْن الاكتفاء في المعيشة، والرضا بالحالة التي هو فيها، فلا يشغل قلبه بهمِّ ما ليس في يده(٢).

ورحم اللهُ الإمامَ الشافعي حين يقول:

إذا نَطَقَ السَّفيهُ فلا تُجِبْهُ

فخيرٌ مِنْ إجابتهِ السُّكُوتُ

---

(١) رواه البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩).

(٢) الخلق الإسلامي الكامل، هذّبه يوسف علي بديوي، (ص٤٥١).

فـإنْ كَـلَّـمْـتَـهُ فَـرَّجْـتَ عـنـهُ
وإنْ خَـلَّـيْـتَـهُ كَـمَـداً يَـمُـوتُ

سَـكَـتُّ عـن الـسَّـفـيـهِ فَـظَـنَّ أنـي
عَـيِـيْـتُ عـن الـجـوابِ ومـا عَـيِـيْـتُ[١]

١١ ــ التواضع

هذه الصفة المعيارية ذات شِقَّين، هما:

أ ـ التواضع المحمود؛ الذي ينبغي للمؤلف أن يلتزم به، ويجعله نُصْب عينيه.

ب ـ التواضع المذموم؛ الذي يُطالَبُ المؤلفُ بتركه، والنأي عنه.

أمَّا التواضع المحمود فله مواقف كثيرة، منها:

ـ **تَرْكُ التطاول على عباد الله**، أو الإزراء بهم؛ لأن التطاول له عواقب وخيمة.

قال محمود الورَّاق:

الـتِّـيـهُ مـفـسـدةٌ لـلـدّيـن، مـنـقـصـةٌ
لـلـعـقـلِ، مـجـلـبـةٌ لـلـذمِّ والـسَّـخـطِ[٢]

---

(١) ديوان الشافعي، جمعه يوسف علي بديوي، (ص٤١).
(٢) ديوان محمود الوراق، جمعه د. وليد قصاب، (ص١٤١).

ـ **الاختلاط بالناس**؛ لمعرفة مشكلاتهم ومعاناتهم، واستشراف الحلول المناسبة، فلا ينفع أن يجلس المؤلف في برجه العاجيّ، ويكتب، ويُنظِّر حسب ما يصله، فلربّما كان ما يصلُه من أخبار فيه حظُّ نفسٍ، أو تحريف.

ـ **التواضع للعلماء**، والإفادة منهم، والبحث عن الحكمة أياً كان مصدرها.

ـ **احترام مقترحات الناشرين**، والقراء، وأَخْذها على محمل الجِدِّ والظن الحسن.

ـ **قبول النقد من أصحاب الاختصاص**، ومَنْ لهم باعٌ في هذا المضمار.

ـ **عدم التحدث عن النفس**، وعلوّ الهمة، وسعة العلم، وحِفْظ المصنفات، والإدلال بمعرفة فلان وفلان، وحَمْل شهادات متعددة في أكثر من زاوية علمية ومعرفية.

قال الشاعر:

تواضَعْ تكنْ كالنَّجمْ لاح لناظرٍ

على صفحاتِ الماءِ وهو رفيعُ

ولاتكُ كالدُّخانِ يعلو بنفسه
على طبقات الجوِّ وهو وضيعُ[١]

أما التواضع المذموم، والتكبر الفارغ، فأمثلتُه كثيرة، منها:

- التذلل لتحقيق رغبة دنيوية، أو لدفع خوفٍ من شخص له تأثير.
- الإعجاب بالنفس، ورؤية فَضْلها على الغير.
- التكبر على الأصدقاء، وعدم شكر النعم.
- التزلُّف لهذه الجهة أو تلك لطبع كتابٍ ما.
- مجاملةُ صاحب علمٍ، حتى إذا تمَّتِ الإفادةُ منه، أعرضَ عنه، ونأى بجانبه.

قال أحمد بن محمد الواسطي النحوي يمدح التواضع، ويذمّ التكبر:

فَدَعِ التكبرَ ما حييـ
ـت ولا تصاحِبْ أَهْلَهُ
فالكبرُ عَيْبٌ للفتى
أبداً يُقَبِّحُ فِعْلَهُ[٢]

(١) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، للدجوي (ص٤١).
(٢) معجم الأدباء، لياقوت الحموي، (٥/ ٦١).

١٢ ــ الصدق

هذا الخُلُق من خواصِّ الإنسان، وأحدُ الأركان التي عليها نِظامُ المجتمع البشري في جميع حركاته وسكناته. والميزة التي اتصف بها الإنسانُ عن غيره من المخلوقات إنما هي العلم والمعرفة، والعلمُ مشتملٌ على قضايا ونظريات، والأدب مُتضمِّن أخباراً وأقوالاً ومعلومات، فإذا نُقِلَتْ غير صحيحة انقلب العلمُ جهلاً، وعُدِمت الحقائق، وانقلبت أصول المسائل[١].

والمؤلفُ الناجح[٢] صادق على الدوام فيما يكتب، ويستخلص من النتائج ما يصدق على الوقائع، وما من صفة ممدوحة إلا وتجدها في الصدق. قال محمد بن إسحاق الواسطي:

وإذا الأمـــــورُ تـــــزاوجـــــتْ

فـالـصِّـدْقُ أكـرمُـهـا نِـتـاجـا

---

(١) الخلق الإسلامي الكامل، هذّبه يوسف علي بديوي، (ص٤٣٩).

(٢) المقصود بالنجاح: أن يستطيع المؤلف أن يجعل الفكرة الصائبة تصل إلى الناس، ويتبع منهجاً لا يختلّ من حيث الصدق والنفع والالتزام بالقيم، فليست الشهرة ـ على الدوام ـ تعني نجاحاً حقيقياً للمؤلف، فهناك طائفة ممن امتهنوا الكتابة ومصنفاتهم تقطر سُمّاً ضد الإنسان، وتعادي الأخلاق، وتجاري الباطل هنا وهناك.

الـــصـــدقُ يـــعـــقـــدُ فـــوق رأ
س حـلـيـفـهِ بـالـصِّـدقِ تـاجـا
والـــصـــدقُ يَـــثْـــقُـــبُ زَنْـــدُهُ
فـــي كـــلِّ نـــاحـــيـــةٍ سِـــراجـــا[١]

والصدقُ من المعايير الأساسية للمؤلف الناجح، فيكون صادقاً في القول والفعل، وعلى مدار حياته، لا يقول إلا حقاً، ولا يعمل إلا صدقاً؛ انطلاقاً من ذاته، وضميره الحيّ، فيزن كل كلمة قبل أن ينطق بها، ويمعن النظر في كل عبارة قبل أن يخطّها؛ فيكون عملُه ناجحاً على مختلف الأصعدة.

ويدرك المؤلفُ الناجحُ أن الصدق مع الناس هو أساس التعامل، فلا يُبنى العلمُ إلا على نِظام الصدق، فإنْ كان كذلك عاش في طمأنينة وسعادة[٢].

ومن الصدق: صدق المودة، فالمؤلف صادق الود مع الحقيقة، ومَنْ يحيط به، ومع الناشر، والقارئ، لا يزيغ عن ذلك قِيْدَ أُنْملة.

وما رأيت أعلى مقاماً من الصدق مع الكلمة، فالكاتب

---

(١) أبو العتاهية: أشعاره وأخباره، (ص٩٤).
(٢) الاستقامة في مئة حديث نبوي، د. محمد زكي خضر، (ص١٢٥).

صاحب رسالة، وهي لا تنتشر إلا بالاستقامة، والإخبار بالحق الذي يعلمه الإنسان، فيكون لسانُه كَلِسان الميزان، يستفرغ جهده، ويبذل طاقته لتكتمل رسالة الحق مع الصدق. وهذا يحتاجُ إلى عزيمة قوية، وإيمان وطيد، واحتمال كريم لتبعات الصدق[1].

وهكذا **يكون المؤلف قمةً في الصدق مع نفسه، ومع الناس،** فلا يقول إلا صدقاً، ولا يُخبر إلا بالحقيقة. كذلك هو صادق بالوفاء بالعقود والعهود، وفي النصيحة والمشورة، وفي المعاملات، وأداء ما عليه بأحسن وجه.

١٣ ــ الأمانة

لو وُضِعتْ قيمٌ كثيرة في كفّة، ووُضِعت الأمانة في الكفّة الأخرى؛ لرجحت عليها جميعاً، فهي أساس الثقة في الكتابة، ونَفْع القُرَّاء. ومن صنوف الأمانة:

- الأمانة في النقل عن المصادر والمراجع.
- والأمانة في استيعاب الموضوع، وعدم التفريط أو الإهمال.
- والأمانة في قول الحقائق، وكتابتها كاملة غير منقوصة.

---

(١) أخلاق القرآن، د. أحمد الشرباصي، (ص٤٩).

ـ والأمانة في استنفاد الجهد لإجادة ما هو بصدد الكتابة عنه.

والمؤلف مُستشار من قبل الناشر والقارئ، **فيؤدي أمانة الكلمة، وواجب النصيحة.**

قال رسول الله ﷺ: «**المستشار مؤتمن**»(١).

إنَّ مهنة التأليف ترتبطُ ارتباطاً وثيق العُرا بالأمانة، والمحافظة على العهود الموثقة بين الجهات ذات العلاقة بالكتاب والكتابة، والباعثُ على ذلك هو توفير الخير، وإشاعة الثقة بين الكاتب والمتلقي، وكل ذلك يصدر عن دافع عَقَدي يلتزم المؤلف بمفرداته في كل ما يصدر عنه. قال ﷺ: «**لا إيمانَ لمن لا أمانة له**»(٢).

وقال الشاعر عبد الله بن عمر العَرْجي مُبيناً أهمية الأمانة، وثقلها، وموقف الإنسان منها:

وما حُمِّلَ الإنسانُ مثلَ أمانةٍ

أشقّ عليه حين يحملُها حَمْلا

---

(١) رواه أبو داود (٥١٠٦) والترمذي (٢٤٧٤) وابن ماجه (٣٧٤٥).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ١٣٥).

فإنْ أنتَ حُمِّلْتَ الأمانةَ فاصطبْر

عليها فقد حُمِّلْتَ مِنْ أمرها ثقلا[١]

١٤ ــ إنجاز الوعد

يُعَدُّ إنجازُ الوعد من المعايير الأخلاقية؛ التي تضبط سلوك الإنسان، وتجعله وفياً في معاملاته، وإمضاء تعهُّداته. قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

ويُطالَبُ المؤلِّف ـ أكثر من غيره ـ بإنجاز وَعْده، واحترام عَقْدِه، والتزام عهده، فمن الإيمان أن يكون المرءُ عند كلمته التي قالها، ينتهي إليها كما ينتهي الماءُ عند شُطْآنه، فَيُعْرَف بين الناس بأنَّ كلمته موْثِقٌ غليظ، لا خوفَ من نقضها، ولا مطمع في اصطيادها[٢].

قال الإمام الشافعي:

فِ بالحقِّ لذي الحقِّ

إذا حَقَّ لهُ الحَقُّ

(١) مجمع الحكم والأمثال، لأحمد قبش، (ص٣٨).

(٢) خُلُق المسلم، لمحمد الغزالي، (ص٥٦).

فـــلا خـــيـــرَ بـــمـــن يُـــنْـــكـــ
ـرُ ذا حَـــقٍّ لـــه الـــحَـــقُّ[١]

ومن أمثلة إنجاز الوعد في حياة **المؤلف الناجح**:

ـ الوفاء ببنود العقد الذي أبرمه مع الناشر.

ـ الوفاء بتصنيف كتاب وَعَدَ به القُرَّاء في مقدمة أحد كتبه.

ـ الوفاء بموضوعات التأليف، فلا يكتب إلا ما يفيد، ويحقق خيراً وصواباً.

ـ الوفاء بالكلمة التي يقولها، مهما تجشَّم من مشاق، وغرم من وقت وجهد.

ـ الوفاء بتذكر ماضيه، إذْ كان جاهلاً فأضحى من أهل العلم، وكان فقيراً فأغناه الله، وكان مغموراً فأعطاه الله ﷻ الصِّيت الذائع، والشهرة الواسعة، فلا يجحد النِّعم، ولا يغترّ بالحاضر الذي هو فيه.

ـ الوفاء بالعهد الذي يقطعه مع الناشر حين يُقدِّم إليه كتابه، فيلتزم بالمبلغ المتفق عليه، ولا يعطيه لغيره في حال دَفَعَ الآخرُ مبلغاً أكبر، فاحترامُ الكلمة والوفاء بالعهد من الإيمان.

قال الشاعر:

---

(١) ديوان الشافعي، جمعه يوسف علي بديوي، (ص٩٨).

إذا قلتَ في شيء (نعم) فأتمَّهُ
فإنَّ (نَعَم) دَيْنٌ على الحُرِّ واجِب
وإلا فَقُلْ (لا) تسترحْ وتُرِحْ بها
لِئلَّا يقولَ الناسُ: إنَّك كاذب[1]

١٥ ــ عدم الغش أو التزوير

يتَّجه **المؤلفُ الناجحُ** دائماً نحو الحق والحقيقة، ويهتم أن يكون نزيهاً فيما يكتب، وفيّاً للمنظومة الأخلاقية، متجاوباً مع المنهج الصَّائب، والقِيَم الخيِّرة، تقريراً وشرحاً، بياناً وتوضيحاً.

ودوافع الغش والتزوير كثيرة، فمنها الميل لمذهب معيّن، أو اتجاه فكري محدد، أو فكرة يتبناها المؤلف، أو يكيل الافتراءات لمن يخالفه، ويضادّ فكره ومعتقده، دون أن يقف على كُنْه الحقيقة، ويتبع منهج الحوار بعيداً عن قلب الحقائق، والفَهْم القاصر.

وهو يصونُ نفسه عن اللغو والهذر، فلا يشغل تفكيره به، ولا يُلوِّث سُمْعته، ولا يشارك في ملابساته، وهو في حياته كلها في شُغْل شاغل عن السيئ من القول والفعل[2].

(١) الخلق الإسلامي الكامل، هذّبه يوسف علي بديوي، (ص٣٩١).
(٢) حياة المسلم بين المنهج والواقع، ليوسف علي بديوي، (ص١٦٨).

والمؤلِّف المتميز لا يغشُّ قُرَّاءه، ولا يشهد زوراً في كتاباته، ولا يظلم امرأً بريئاً، ولا أمةً من الأمم، ولا يُحلِّل الحرام، ولا يُحرِّم الحلال، ولا يُغلِّب جانباً على جانب، ولا يفتري على الحقائق، ولا يُظْهِر عكس ما يُبْدي.

وها هو ذا أبو العلاء المعري ينعى على المزوِّر في الخفاء، بينما يبدو عابداً ناسكاً في الظاهر:

سَبِّحْ وصَلِّ وطُفْ بمكة زائراً

سبعين لا سبعاً فلستَ بناسكِ

جَهِلَ الدِّيانةَ مَنْ إذا عَرَضَتْ لَهُ

أهواؤهُ لم يُلْفَ بالمتماسكِ[1]

ثم إنَّ المؤلف الناجح يحيا حياته بلونٍ واحد، فَفِعْلُه يُصدِّق قولَه، وسلوكه يوافق آراءه المبثوثة في مُصنَّفاته.

إنَّ الغِشَّ في الكلمة أصعب من غيره بآلاف المرات، ذلك أن الكلمة تُغيِّر نَفْساً، وتقود سلوكاً، وتُحرِّك مجتمعاً، وتُؤثِّر في أمة.

---

(١) لزوم ما لا يلزم، لأبي العلاء المعري، (٣/ ١١٨٩).

ومن هنا فإن الغِشَّ والزُّور هَدْمٌ لكيان الفرد والجماعة، وتحطيمٌ للحقائق، وتهشيمٌ لدعائم السلوك الإنساني.

١٦ ــ العِفَّة

يُقصد بالعفة: اجتناب ما لا يحلُّ ولا يجمل، وصَدُّ النفس عن تتبُّع شهواتها الدَّنيئة، أو السَّير وراء أطماعها الرَّديئة[١].

والعفيفُ: هو مَنْ يُباشر الأمورَ على وَفْق الشَّرع، والمروءة[٢].

والمؤلفُ الناجح عفيف في أقواله، إذْ يترك الألفاظ النابية، ويبتعد عن أحاديث المجون والفجور، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤].

وهو طاهرُ النفس، بعيد عن الدناءة، يضعْ نَفْسَهُ على الطريق الصحيح، فلا يقارن نفسه بمن هو أعلى منه في المعاش، ولا يرهق فكره بتأمل حياة الآخرين ممن عاشوا ظاهراً من الحياة الدنيا.

وليس في هذا دعوة إلى التهاون والتكاسل والتقاعس عن العمل والأمل، بل يعني أن يبقى المؤلفُ ـ صاحب الكلمة الحرة

(١) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، للدجوي، (ص٨٥).
(٢) التعريفات، للجرجاني، (ص١٩٥).

الشريفة ـ ضمن إطار الكسب المشروع، دون شبهة، أو انحراف، وأن يقتنع أن الأرزاق مقسومة، وثمة تفاوت بين الناس في هذه الحياة.

وهذه العفة والترفع عن التطلع إلى المستوى المادي للآخرين؛ تَحُولُ بين المؤلف والحسد، فلا يزاحم، ولا يُخاصم، ولا يُقاطِع، بل يكون رفيعاً في معاملاته، ليِّناً، سَمْحاً في علاقاته[١].

قال بشار بن بُرْد:

ولقد أصرفُ الفؤاد عن الشـ
ـءِ حياءً وحُبُّه في السَّوادِ

أُمْسِكُ النفسَ بالعفافِ وأُمسي
ذاكراً في غَدٍ حديثَ الأعادي[٢]

١٧ ــ الشكر

يحيا **المؤلِّفُ النَّاجحُ** في نِعَمٍ كثيرة، لا يشعر بها الجَمُّ الغفيرُ من الناس، فهو يتابع العلم، ويتصيَّد المعرفة، ويصرف عمره كله

(١) أخلاقيات المهنة، د. موفق نوري، (ص٩٤).
(٢) ديوان بشار بن برد، جمعه وحققه وشرحه محمد الطاهر ابن عاشور، (١/ ١٢٩)، دار سحنون، ودار السلام، ط١، ٢٠٠٨م.

في اقتناص حكمةٍ من هنا، ورأي من هناك، ويرتبط بمعايير أخلاقية ناظمة لحياته وسلوكه، ويُذيب نفسه في خدمة الحقيقة، ويعمل على تطوير الحياة، وعلاج آلام البشرية، فهو يحيا - باستمرار - في حركية دافعة للإبداع، والسُّمو، والتَّرقّي.

أمام هذه النِّعم التي لا تُحصى، **لا يَسعُ المؤلف إلا أن يشكر خالقه** على تسخيره إياه في أرقى عمل؛ ذلك أنه يتعامل مع العقل والروح. وكذلك فإنه يُوجِّه قواه وما أنعم الله عليه باتجاه مناصرة الحقيقة، والتمسك بأبواب الخير، والتشبث بكل فضيلة جليلة نبيلة.

كما أنه يشكر الناشر؛ لسعيه في طبع الكتاب، وتوزيعه، وخدمة طلاب العلم، ونقل الكلمة إلى أوسع مدى في المجتمع، فيجسِّد دور المعلِن عن الكتاب، وفي ذلك جهد ومشقة تستوجب الشكر والعرفان.

كذلك فإن **المؤلف الناجح** في عمله **يتقدَّم بالشكر لكلِّ من أهدى إليه نقداً**، أو رأياً، أو اقتراحاً، أو ملاحظة...

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صُنِع إليه معروفٌ، فقال لفاعله: جزاكَ اللهُ خيراً؛ فقد أبلغ في الثناء**»[1].

(١) رواه الترمذي (٢٠٣٥).

وجملة (جزاك الله خيراً): فيها ثناءٌ بليغٌ، لأن فيها معنى الاعتراف بالعجز عن الشكر، وقائلها قد دعا اللهَ ورجاه بأنْ يثيب صاحبَ المعروف نيابةً عنه، والله واسعُ الفضل والعطاء، فلو أخلص الإنسانُ في الدعاء لكان شكراً عظيماً[١].

١٨ ــ المشورة

المشورة لا تنفع أحداً مثل المؤلف، ذلك أن العلم واسع الأرجاء، وبحر عميقُ القرار، ولا يمكن للمؤلف ـ مهما بلغ من العلم ـ أن يُحصِّلَ إلا نَزْراً يسيراً، يكتب من خلاله، ويُصنِّف ما يعود على القُرَّاء بالنفع والفائدة.

فإن شاور المؤلفُ غيره، أو شاوره أحدٌ من زملائه أو غيرهم، فلا بُدَّ أن تكون المشورة على أعلى درجات الأمانة والصدق، فقد قال رسولُ الله ﷺ: «**المستشارُ مؤتمن**»[٢].

ويُفْتَرض في المشاوَر أن يكون عاقلاً، ودوداً، ذا تجربة، ورأي حصيف. قال الشاعر:

إذا الأمــرُ أَشْــكَــلَ إِقْــبــالُــه
ولــم تَــرَ فــيــه ســبــيــلاً فَــسِــيــحْــا

---

(١) أخلاق القرآن، د. أحمد الشرباصي، (ص١٢٠ ـ ١٢١).
(٢) رواه ابن ماجه (٣٧٤٦).

فـــشـــاوِرْ بـــأمـــرِكَ فـــي سَـــتْـــرِهِ
أخـاكَ الـشَّـفـيـقَ الأريـبَ الـنَّـصـيـحـا[1]

ومن استُشير فَلْيُشِرْ بالنصيحة، وليجتهد بالرأي، وليلزمِ الحقَّ وقَصْدَ السبيل، وليجعل المستشيرَ كنفسه؛ بترك الخيانة، وبَذْل النصيحة.

والمؤلفُ الناجحُ يعترفُ بالحقِّ عند المشورة، ولا يتمادى في الباطل، بل يقبلُ الحقَّ ممن جاء به، ثم يستخيرُ الله تعالى، ويمضي فيما أشار عليه.

١٩ ــ الاستقامة والاعتدال

تعني الاستقامةُ: التَّوجُّهَ في الطريق القويم الذي لا اعوجاجَ فيه. والاعتدال: يوافقُ الاستقامة، ويناصرها؛ فهو لا يتبع هوىً في كتاباته، ولا يُمالئ سلطاناً، ولا فئة على حساب فئة. وإذا كان ناقداً في كتاباته؛ فلا بُدَّ من الاعتدال، فلا يكن سطحياً ضَحْلاً، ولا متطرفاً مفرطاً في نقده، فالاعتدال هو: التوسط بين موقفين كلاهما فيه جنوح وشطط، وإفراط أو تفريط.

وهاتان الخصلتان هما رمزُ حُسْنِ سيرة المؤلف، وتدلان

(١) روضة العقلاء، لابن حبان البستي، (٢/ ٧٣٠).

على كمال عقله، وتحميانه عن كل ما يتسرَّب إليه من الضرر من هنا وهناك، وهما سبيلا النجاح، وطريقا السعادة.

قال رسولُ الله ﷺ: «**قُلْ ربِّي اللهُ، ثم استقمْ**»(١).

وقال ﷺ: «**خيرُ الأمور أوساطها**»(٢).

وأحسنُ الأعمال التي يقوم بها المؤلفُ، والتي تأتي على حالٍ متميز، هي الأعمالُ التي لا زيادة فيها ولا نقصان، فهي أوسط الأحوال وأعدلها؛ لأن التقصير ندم، والإكثار عجز.

والمسرفُ مثلُ المقصِّر، كلاهما خرج عن الحدِّ، فما جاوز الاعتدال فهو خروجٌ عن العدل، ولستَ تجدُ فساداً إلا وسببه الخروجُ من حال العدل إلى ما ليس بعدل.

قال الشاعر:

لا تـذهـبـنَّ فـي الأمـورِ فَـرَطـا
لا تـسـألـنَّ إنْ سـألـت شَـطَـطـا
وكُـنْ مـن الـنـاسِ جـمـيـعـاً وَسَـطـا(٣)

ويحيا المؤلفُ بتوازنٍ واعتدال، فلا يسرف في القول

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٠) وابن ماجه (٣٩٧٢).
(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦٦٠١).
(٣) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، للدجوي، (ص١٦٤).

ولا يُقَصِّر، ولا يجنح في الآراء ولا يشطط؛ لأن القصد دعوةٌ إيجابية ينصرُها العقلاء.

٢٠ ــ تجنُّب الحقد والحسد

لا يمكن للمؤلف الناجح أن يحقد على أحد، ولا أن يحسده، فأخلاقه الأصيلة تكفُّه عن ذلك، وتأخذ بيده إلى جادَّة الصواب، والمنهج القويم.

وهو لا يحسد؛ لأن أقل خِصال الحسد: هو تَرْكُ الرضا بالقضاء، وانطواء الضمير على إرادة تمنّي زوال النِّعَم عن الآخرين.

وقد يتعرَّض المؤلف للحسد؛ بسبب نجاحه، وتفوقه، وذُيوع اسمه، وانتشار مصنفاته. وعن هذا قال أبو الأسود الدُّؤلي:

حَسَدُوا الفتى إذْ لم ينالُوا سَعْيَهُ

فالقومُ أنْدادٌ له وخُصُومُ[1]

وإن من الحسد أن يرى المؤلف كتاباً رائجاً لمؤلِّف آخر، تراكمت تجاربه وخبراته في ذلك الكتاب، فيُسمِّي كتابه بالاسم

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، (٢/ ١١٧).

نفسه؛ مُتعجِّلاً النجاح والشهرة، وهو ما يزال غِرّاً فتيّاً، تعوزه التجربة والخبرة.

ولكنَّ **المؤلف الناجح** لا يهتم لهذه الأمور، بل يُتابع طريقه العلمي بجهود حثيثة، لا تعرف التراجع.

كذلك فإنه لا يحقد، فنفسُه مطمئنة، والحياةُ كلها لا تحتمل حقداً ولا حَمْل ضغينة، ومن أراد السكون والهدوء وراحة البال، فَلْيُرِحْ نفسه من هَمِّ الحقد، وليعمل بقول الإمام الشافعي:

لـمـا عـفـوتُ ولـم أحـقـدْ عـلـى أَحَـدٍ

أَرَحْـتُ نـفـسـي مـن غَـمِّ الـعـداوات[1]

إن الحقد والحسد يُسْقِطان المروءة، **والمؤلفُ الناجح** يحذر ذلك، فهو يرنو نحو الفضائل ليتمثَّلها، ويزري الرذائل ويتجنَّبها، فقد عَقَد حِلْفاً لا تنقطع وشائجه مع المعايير الأخلاقية والمقاييس السلوكية والنفسية الفاضلة.

٢١ ــ القدوة الحسنة

يترك **المؤلِّفُ الناجح** آثاراً طيِّبة في واقع الحياة، وفي دُنْيا الناس، ويكون فاعلاً في حركة الحياة، وصناعة المستقبل

(١) ديوان الشافعي، جمعه يوسف علي بديوي، (ص٤٢).

السعيد. ولا يكون ذلك إلا إن توافَقَ القولُ مع الفعل، وتضافرت الكلمةُ مع السلوك. فإنْ كتب عن الأخلاق كان في الواقع أُسْوةً صالحة، وقُدوةً حَسَنة في باب القِيم والمبادئ. وإن دعا إلى جَوْدة التعامل، عاش حياته كلها قمة في الصدق، وعفّة اللسان، ونحو ذلك؛ ليكسب القلوب، ويُقْنِع العقول، ويُصدِّقه الآخرون فيما يدعو إليه.

إن النجاح الحقيقي في الحياة يُقاس بما يحققه المرءُ من إنجازات على صعيد الخُلُق القويم، والعمل المثمِر، والسلوك الخيِّر البَنَّاء، فيكون شامةً بين الناس، يُقْتَدى به، فهو متفوِّق في ميدان العمل، رائد في الحياة، مُتَّزِن في التعامل، يُقدِّم الكلمة النافعة، ويُجسِّدها واقعاً مُعاشاً، وبتواصلٍ عميق.

وأعظم نجاحٍ يحياه المؤلف حين يستطيع أن يُحوِّل ما يدعو إليه، وما تَخُطُّه يمينُه، إلى اتجاه حياتي، وسلوك واقعي، يجمعُ بين صفاء الروح والفضائل الحميدة.

وليس من المحمود أن يتكلَّم مؤلِّف مرموق عن الوقت وأهميته، ثم تراه يُبدِّد الساعات الطوال من وقته في لعبة ورق أو طاولة نَرْد، وبذلك يخالف فِعْلُه مقاله.

ويتجلَّى التأثيرُ العميق حين يُدرك الآخرون أن هذا المؤلِّف ذو سلوك حَسَن، وتعامل متميز، وخصال سامية، فهو فعَّالٌ قبل

الكلام، يُحقِّق ذاته في مضمار الخير والاستقامة، وبالتالي يتبوَّأ موقعَ المحبة والاحترام في قلوب القُرَّاء، قبل أن يُعْجَبُوا بما يتفوَّه من كلمات تجري على الورق.

obeikandl.com